الفصل الخامس والثلاثون بعد المئة

اللغات السامية

اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وهي التي يقال لها اللغة العربية الفصحى وكذلك سائر لهجات العرب الأخرى ، هي فروع من مجموعة لغات عرفت عند المستشرقين بـ (اللغات السامية). وقد أولع بعض المستشرقين بدرس هذه اللغات، فألفوا فيها كتباً وأبحاثاً ، وأنشأوا مجلات عدة تفرغت لها ، وما زالوا يسعون في توسيعها وتنظيمها وتبويبها، وقد عرفت دراساتهم هذه عندهم بالساميات « Semitistik ». وهي تتناول بالدرس كل اللغات التي يحشرها علماء الساميات في مجموعة اللغات السامية : تتناولها بغض النظر عن وجود اللغة أو عدمه في هذا اليوم ، فالبحث علم ، والعلوم تبتغي المعرفة دون قيد بزمان أو مكان .

وينفق علماء الساميات مجهوداً كبيراً في المقارنة بين اللغات السامية وفي معرفة مميزات كل لغة ، وما بينها وبين اللغات الأخرى من فروق أو تطابق أو تشابه ، ومجال بحثهم في تقدم وتوسع ، خاصة بعد أن أخذ هؤلاء العلماء بأساليب البحث الحديثة التي تعتمد على الفحوص والاختبارات والملاحظات والنقد[1] .

وقد جاءت نظرية (اللغات السامية) من التسمية التي أطلقها (شلوتسر « Schlözer » على العبرانيين والفينيقيين ، والعرب والشعوب المذكورة في التوراة على أنها من نسل (سام بن نوح)[2] . ولم تقم نظرية التوراة في حصر اولاد

---

١ Theodore Nöldeke, Sketches from Eastern History, Beirut, 1963, p. 1.

٢ الاصحاح العاشر من سفر التكوين .

سام على أساس عرقي ، بل بنيت على عوامل جغرافية وسياسية ، ولهذا أدخلت العيلاميين واللوديين « Lud » في أبناء (سام) ، مع أنهما ليسا من الساميين ، ولا تشابه لغتهما لغة العبرانيين[1] .

والقرابة بين اللغات السامية واضحة وضوحاً بيناً ، وهي أوضح وأمتن وأوثق من الروابط التي تربط بين فروع طائفة اللغات المسماة باللغات الهندوأوروبية « Indoeurpaichen Sprachen » أو الهندوجرمانية « Indogermanischen Spraden » على حد تعبير بعض العلماء[2] . وقد أدرك مستشرقو القرن السابع عشر بسهولة الوشائج التي تربط بروابط متينة ما بين اللغات السامية ، وأشاروا اليها ، ونوهوا بصلة القربى التي تجمع شملها . بل لقد سبقهم الى ذلك علماء عاشوا قبلهم بمئات السنين هداهم ذكاؤهم وعلمهم الى اكتشاف تلك الوشائج والى التنويه بها . فقد تحدث عالم يهودي اسمه : (يهودا بن قريش) « Jehuda ben Koraish » ، وهو ممن عاشوا في أوائل القرن العاشر ، عن القرابة التي تجمع بين اللغات السامية ، وعن الخصائص اللغوية العديدة المشتركة بين تلك الألسن ، كما أبدى ملاحظات قيمة عن الأسس اللغوية التي تجمع شمل تلك اللغات[3] .

والأساس الذي بني عليه رأي العلماء في حشر من يرون حشره في عائلة الساميات ، أو إخراج من يرون اخراجه منها ، هو قرب لغة من يرون فحصه لترشيحه لعضوية تلك العائلة من اللغات السامية ، أو بُعد لغته عنها ، ثم قرب عقلية من يرون إدخاله في السامية من العقلية العامة التي رسمت حدودها لعقلية الساميين ، من دين وأساطير وحياة اجتماعية وأدب ونحو ذلك مما يحدد عقليات الناس . وبهذه الطريقة يبحث العلماء اليوم موضوع الساميات[4] .

---

١ Theodore Nöldeke, Die Semitischen Sprachen, Leipzig, 1899, S. I, Richard J.H. Gottheil, Semitci Literatures, p. 1, The Columbia University Press, 1911.

٢ Theodore Nöldeke, Die Semitischen Sprachen, S. II, وسيكون رمزه : 'Sprachen

Carl Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen, Bd. I, S. I.

٣ Sprachen, S. 2, Grūndriss, I., S. I, Geiger, Ursprung der Sprache, 1869, 22.

٤ Richard Hartmann und Helmuth Schell, Beiträge Zur Arabistik, Semitistik und Ielamwissenschafts, Leipzig, 1944, S. 3 ff.

وقد حملت الخصائص المشتركة والألفاظ المهمة الضرورية لشؤون الحياة التي ترد في كل اللهجات السامية بعض العلماء على تصور وجود لغة أم ، في الأيام القديمة ، تولدت منها بعوامل مختلفة متعددة مجموعة (اللغات السامية) . ويؤدي تخيل وجود هذه الأم الى تخيل وجود موطن قديم للساميين كان يجمع شملهم ، ويوحّد بين صفوفهم ، الى أن أدركتهم الفرقة لعوامل عديدة ، فاضطروا الى الهجرة منه الى مواطن جديدة ، والى التفرق ، فكانت هذه الفرقة إيذاناً بتبلبل ألسنة البابليين ، وسبباً الى تفرق ألسنتهم وظهور هذه اللغات .

ولا يعني تصور وجود لغة ساميّة أم « Ursemitish » على رأي بعض العلماء ضرورة وجود لغة واحدة بالمعنى المفهوم من اللغة الواحدة ، كانت أماً حقيقية لجميع هذه اللغات البنات . بل الفكرة في نظرهم مجرد تعبير قصد به شيء مجازي هو الإفصاح عن فكرة تقارب تلك اللغات وتشابهها ، واشتراكها في أصول كثيرة اشتراكاً يكاد يجمعها في أصل واحد ، ويرجعها إلى شجرة واحدة هي الشجرة الأم . فالسامية الأولى أو الساميـة الأم ، أو السامية الأصلية ، هي بهذا المعنى تعبير مجازي عن أقدم الأصول المشتركة التي جمعت بين اللهجات السامية القديمة في الأيام القديمة ، أيام كان المتكلمون بها يعيشون في أمكنة متجاورة وفي اتصال وتقارب عبر عنه بفكرة النسب المذكور في التوراة[1] .

وليس من السهل علينا أن نتصور كيف كانت اللغة السامية الأولى . ولكننا لا نستطيع — بسبب قدم زمان هذه اللغة إن كانت هناك لغة سامية أولى وبسبب الأحوال البدائية التي كانت تحيط بالمتكلمين بها شأن البشرية جمعاء في ذلك العهد ولقلة مستلزمات المعيشة يومئذ وانخفاضها — أن نتصور أن هذه اللغة كانت واسعة جداً بمفرداتها غنية بمسمياتها ، وفي قواعد صرفها ونحوها وفي أساليب بيانهـا ، لأن ما نذكره لا يمكن أن يتوفر إلا في مجتمع متطور متقدم ، وإلا بعد تطور استمر أمداً طويلاً ، ولم يكن الساميون الأولون في ذلك العهد على درجة كبيرة من التطور والتقدم ، حتى تكون لغتهم الأولى على نحو ما نذكره من اتساع وارتقاء .

وتسوقنا إشارتنا العابرة هذه الى السامية الأم الى الإشارة الى الوطن السامي الأول الذي عاش فيه الساميون . أيام اجتماعهم وتكتلهم في وطن واحد ، وأيام

---

١ جواد علي تأريخ العرب قبل الاسلام (١/١٦٦ وما بعدها) ، (٧/١٠ وما بعدها) .

تكلمهم بلسان واحد أو بألسنة متقاربة متشابهة ، يفهم أحدهم الآخر بيسر وسهولة. ثم عن الأيام التي نزلت فيها المكاره على أولئك الساميين القدماء فأجبرتهم على ترك ذلك الوطن في دفعات وفي هجرات متعددة والارتحال عنه الى مواطن أخرى جديدة .

وقد اختلف العلماء في تعيين الموطن الأصلي للساميين ، وذهبوا في ذلك مذاهب ، يخرجنا الحديث عنها عن صلب موضوعنا هذا . والمفروض في هذا الوطن أن يكون المهد الأول الذي ضم الشعوب السامية ، والمكان الذي اتصلت فيه تلك الشعوب بعضها ببعض ، الأثر الذي نراه في اللغة وفي الدين وفي النواحي العقلية وما شاكل ذلك .

وبما أن من غير الممكن التعرف على اللغة السامية الأم ، لأن الكتابة لم تكن معروفة في ذلك العهد ، فكّر المستشرقون في دراسة أقرب اللغات السامية الى الأصل ، فذهب بعضهم الى أن العبرانية هي أكثر تلك اللغات شبهاً بالسامية الأولى ، وهي لذلك أقرب بنات سام اليها . وذهب آخرون الى تقديم لغة بني إرم على غيرها جاعلين إياها البنت الأولى التي اجتمعت فيها الخصائص السامية الأصلية أكثر من اجتماعها في أية لغة أخرى ، ولهذا استحقت في رأيهم هذا التكريم والتقديم . وذهب آخرون الى تقديم العربية على سائر اللغات الأخرى ، لمحافظتها أكثر من بقية اللغات السامية على الخصائص السامية الأولى وعدم تنصلها منها وتركها لها . كالذي نراه من استعمالها للمقاطع القصيرة الصامتة ومن كثرة تعدد قواعدها التي زالت من قواعد بقية اللغات . غير ان هذه الامتيازات والحصانات التي تتمتع بها هذه اللغة ، يقابلها من جهة أخرى مميزات في العربية لا نجدها في اللهجات السامية الباقية ، مما يبعث على الظن انها طرأت عليها فيما بعد ، وأن اللغة العربية قد مرت بأدوار تطورت فيها كثيراً ، والتطور هذا معناه ابتعاد هذه اللغة عن الأصل . ثم اننا نجد في العبرانية وفي لغة بني إرم قطعاً من الكلام قديماً جداً لا نجد له مثيلاً في العربية ، وهذا مما يدعو الى حسبان اللغتين المذكورتين أقدم عهداً من اللغة العربية . غير اننا لا نستطيع مع كل ذلك أن ننكر أن معرفتنا وإحاطتنا باللغة العربية لا تكاد تدانيها معرفتنا وإحاطتنا ببقية اللغات الساميه . ومن هنا صارت اللغة العربية بلهجاتها المتعددة حقلاً مهماً لإجراء التجارب والاختبارات في ميدان

مقارنات اللغات السامية ودراستها ، فيه من الامكانيات والقابليات ما لا نجده في بقية الحقول[1] .

وقد ذهب (نولدكه) الى أن من الضروري في دراسة مقارنات اللغات السامية البدء باللغة العربية ، وذلك بأن نأخذ في تسجيل خصائصها ومميزاتهـا وقواعدها وكيفية النطق بألفاظها وما الى ذلك، ثم نقارن ما سجلناه بما يقابله في بقية اللغات السامية ، لنقف بذلك على ما بين هذه اللغات من مفارقات ومطابقات . ولا بأس في رأيه من الاستعانة باللهجات الحالية أيضاً ، لأنها مادة مساعدة جـداً ومفيدة كثيراً في الكشف عن خصائص اللغات السامية وعن مميزاتهـا وتطورها في مختلف العصور . وفي رأيه ان دراسة من هذا النحو ليست بالأمر اليسير ، فإنها تتطلب جلداً وعلماً وإحاطة باللغات السامية كلها وبآثارها القديمة ، وأن يقوم بهـا علماء لغويون متخصصون ، عـلى جانب كبير من العلم والذكاء والإحاطـة بالساميات[2] .

وليس بين اللغات السامية لغة واحدة تستطيع أن تدعي انها سامية صافية نقية ، وانها لم تتأثر قط باللغات الأخرى التي تنتمي الى مجموعات لغويـة غير سامية ، وقضية صفاء لغة ما من لغات العالم وخلوّها من الألفاظ والكلمات الغريبة ، قضية لا يمكن أن يقولها رجل له إلمام بعلوم اللغات ولو يسيراً جداً . واذا كانت اللغات السامية قد تأثرت باللغات الأخرى بسبب اختلاط الشعوب واتصال ألسنتها بعضها ببعض نتيجة ذلك الاختلاط ، فإن من الطبيعي أن تكون اللغات السامية قد أثرت بعضها في بعض ، ولهذا نجد في كل لغة من اللغات السامية ألفاظاً أخذتها من لغة ما من لغات أبناء سام .

وخير ما يمكن أن نفعله الآن في موضوع اللغة السامية وأقرب اللغات الساميـة اليها ، هو ان نقوم باستخلاص القديم المشترك من كل اللغات السامية ، ثم نكوّن من هذا المجتمع لغة نعدّها أقرب اللغات السامية صورة الى اللغة السامية الأولى . وتعدّ للضمائر وأسماء العدد وأسماء أعضاء الجسم الأساسية المهمة وجملة ألفاظ تخص الحياة الانسانية الأساسية ، مثل بيت وسماء وأرض وجمل وكلب وحمـار وعدد

---

١ Sprachen, S. 5 ff.

٢ Sprachen, S. 7.

من حروف الجـــرّ ، من جملة القديم المشترك في جميع اللغـــات السامية أو في أكثرها ، وهو لذلك يفيدنا من هذه الناحية كثيراً في تكوين فكرة عن اللغة السامية القديمة وعن أقرب اللغات السامية الى الأصل .

ويقسم علماء الساميات اللغات السامية الى قسمين : لغات سامية شمالية ، ولغات سامية جنوبية . ويقسم بعض العلماء اللغات السامية الشمالية الى مجموعتين : مجموعة شرقية ، ومجموعة غربية . ويقصدون بالمجموعة الشرقية اللغات الساميـــة المتركزة في العراق ، ويقصدون بالمجموعة الغربية اللغات السامية المتركزة في بـلاد الشأم . وقد تأثرت كل مجموعة من المجموعتين بالمؤثرات اللغوية والحضارية للمكان الـتي عاشت فيه ، ومن هنا حدث بعض الاختلاف بين الجماعتين .

ومن أهم الخصائص التي امتازت بها اللغات السامية من غيرها من اللغات :

اعتمادها على الحروف الصامتة « Konsonant » = « Consonant » أكثر من اعتمادها على الأصوات « Vocal » = « Vokale » ، فنرى أن أغلب كلماتها تتألف من اجتماع ثلاثة أحرف صامتة . أما الأصوات ، فلا نجد لها حروفاً تمثلهـــا في اللغات السامية . وهي بذلك على عكس اللغات الآرية الـتي اهتمت بالأصوات ، فدونتها مع الحروف الصامتة.وقد اضطرت اللغات السامية نتيجة لذلك الى الاستزادة من الحروف ، فزادت في عددها عن العدد المألوف في اللغات الآرية ، وأوجدت لها حروفاً للتفخيم والترقيق وإبراز الأسنان والضغط على الحلق[1] .

ويتولد في اللغات السامية من تغيير حركات الأحرف الثلاثية الصامتة وتبديلها، معان جديدة . ولهذا كان من أهم واجبات الأصوات في اللغات السامية تغيـــير حركات الحروف لتوليد معانٍ جديدة . فالأحرف الثلاثة الصامتة إذن هي الـــتي تكون مفهوم الكلمة وهيكلها ، ولكن مفاهيم هذه الأصول الثلاثية لا تبقى عـلى حالها متى تغيرت حركات هذه الحروف . فكلمة (فعل) المؤلفة من ثلاثة أحرف صامتة ، هي حروف الفاء والعين واللام ، هي أصل ، غير أن هذا الأصل غير ثابت . بل هو عرضة للتغيير ،ويكون تغيره بتغيير حركات أحرفه ، فإذا تغيرت

---

١ ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية (ص ١٤) ،
Brockelmann, Grundriss, I, S. 5.

حركات هذه الأحرف تغيرت معانيها حتماً . فكل تغيير إذن في حركات أحرف الأصل يعقبه تغير في معنى ذلك الأصل . فلفظة (فَعَلَ) ، تختلف في المعنى عن لفظة (فِعْل) ، واللفظتان (فَعَلَ) و (فِعْل) تختلفان أيضاً في المعنى عن معنى لفظة (فُعِلَ) . وقد تولد هذا الاختلاف من تغير حركات حروف الأصل وتبدلها .

ومن الممكن إحداث معانٍ جديدة في اللغات السامية ، وذلك بإضافة زوائد تتألف من حرف أو أكثر الى الأصول الثلاثية ، فيتبدل بذلك معنى الأصل . فإذا أضفنا حرف الألف بين حرفي الفاء والعين من (فعل) ، تغير المعنى ، وصارت اللفظة (فاعل) ، وإذا وضعنا حرف الواو بين حرفي العين واللام من فعل ، تغير المعنى ، وصارت اللفظة (فعول) ، وهكذا .

فنرى مما تقدم ان المعاني المشتقة من الكلمات ذات الأصل الثلاثي مهما تغيرت وتولدت نتيجة لتغير حركات تلك الحروف الثلاثة الصامتة ، فإنها لا تنفصل من هذه الحروف ولا تتركها ، بل تبقى في صلب كل كلمة ، مهما صار معناها . فكلمة (قتل) العربية مثلاً المؤلفة من ثلاثة أحرف صامتة ، يمكن أن نولد منها معاني جديدة ، أي كلمات جديدة ، بتغيير هذه الأحرف الثلاثة ، أو بادخال زوائد عليها ، أو بتشديد بعض حروفها كما ذكرت ، غير اننا لا نستطيع أن نترك حرفاً من هذه الأحرف الثلاثة التي هي الأصل .

فألفاظ مثل قاتل،وقتيل،وقتال،ومقتول ، وقَتْل ، وقَتَّلَ ، وقُتِلَ ، وكلها مشتقة من الأحرف الصامتة الثلاثة : القاف والتاء واللام ، لم نتمكن من الاستغناء عن حرف من هذه الأحرف الثلاثة ، بل اضطررنا الى ابقائها كلها فيها . إلا أنا أجبرنا على التفريق بينها بسبب دخول الزيادات[1] .

وليس في اللغات السامية ادغام للكلمات ، أي وصل كلمة بأخرى ، لتكون من الكلمتين كلمة واحدة يكون لها معنى مركب من معنى الكلمتين المستقلتين كما في اللغات الآرية . وأما ما نراه من عدّ كلمتين مضافتين كلمة واحدة تؤدي معنى واحداً ، فإن هذا النوع من التركيب بين الكلمتين شيء جديد في اللغات

---

١ Semitistik, Dritter Band, Erster Abschnitt, 1953, S. 10 ff.

السامية ، لم يكن معروفاً عند أجدادهم القدماء[1] . وهو معروف في اللغات الآرية، كما في حالة الـ « Genitive » في اللاتينية حيث تتولد معان جديدة باضافة لفظة الى لفظة أخرى ، فتتولد من هذا التعاقب دلالة جديدة لمعنى جديد .

هذا ، ونجد أن بين اللغات السامية وبين اللغات الآرية اختلافات في كثير من الأمور ، فاللفظة في اللغات السامية ذات مدلول عام ، وقد يكون لها جملة مدلولات تدل على معان عامة مطلقة ، أما اللغات الآرية ، مثل السنسكريتية ، واليونانية ، والألمانية ، فكل جذر فيها هو كلمة ذات معنى مقيد محدود ، أخذت منه المصادر والنعوت. وهناك اختلافات أخرى في موضوع الـ « Conjuctions » والـ « Substansive » والـ « Syntax » ، والـ « Interdependence of sentences » وغير ذلك من أمور يعرفها علماء اللغات والنحو والصرف .

ويرى العلماء أن الفعل قد تطور في اللغات السامية تطوراً خطيراً ، استغرق قروناً طويلة ، وأن ما نعرفه من تقسيم الأفعال الى ماضٍ ومضارع وأمر ،لم يكن معروفاً على هذا النحو عند قدماء الساميين . ويرى بعضهم أن الصيغة الأصلية للفعل إنما كانت صيغة الأمر ، فهذه الصيغة هي أقدم صيغ الأفعال عند الساميين. وقد كانت هذه الصيغة تستعمل للدلالة على جميع صيغ الفعل من الماضي والمضارع والأمر ، ثم تخصصت فصارت تشير الى حدوث الفعل في صيغة الأمر ، وذلك بعد ظهور صيغتي المضارع والماضي .

ومن صيغة فعل الأمر ، اشتق فعل المضارع . وذلك بزيادة حرف على أول لفظة فعل الأمر ، لتدل على حالة الإسناد الى الفاعل أو الضمير مثلاً . وقد سبقت هذه الزيادةُ الزيادةَ التي لحقت آخر الفعل ، فمن فعل (قم) مثلاً تولد الفعل (أقوم) و (يقوم) و (نقوم) و (تقوم) ثم يقومون وتقومون[2] .

ومن علماء اللغات من يرى أن صيغة المضارع كانت أمداً تدل على جميع الأزمنة ، وأن هذا الأداء كان مستعملاً عند قدماء الساميين استعمال اللغة الصينية

---

١ Brockelmann, Grundriss, I, S. 5.

٢ ولفنسون ، السامية (ص ١٥) ، The Bible Dictionary, Vol. II, p. 429.

واللغة الهندوجرمانية الأصلية له[1] .

ونجد اليونانية تغير معاني الفعل بإدخال حرف الجر عليه ، فإذا دخل حرف جرّ على الفعل تغير معناه .

ويظن ان الكلمات المؤلفة من حرفين صامتين ، أي الألفاظ الثنائية الأصل مثل أب وأم وأخ ويد، كانت أقدم من الأفعال المشتقة من ثلاثة أحرف مثل فعل، صنع ، أكل ، ذهب ، وأن الأفعال الثلاثية أقدم من الأفعال الرباعية . وقد ذهب بعض الباحثين إلى ان الأفعال الرباعية المؤلفة من أربعة أحرف كانت مؤلفة في الأصل من حرفين اثنين ، ثم تطورت بالاستعمال في خلال العصور الطويلة حتى صارت رباعية الأصل[2] .

وفي العبرانية صيغتان للفعل الماضي : الصيغة المألوفة للماضي ، وصيغة ثانية مشتقة من المضارع مع إضافة واو العطف ، وهي صيغة قديمة جداً . وهي موجودة في البابلية القديمة وفي الكنعانية العتيقة . ولعلها كانت صلة بين المضارع وبين الماضي. وليس لهذه الصيغة وجود في العربية الشمالية وفي العربية الجنوبية والحبشية وفي لغة بني إرم[3] .

ويلاحظ ان العبرانية تشارك اللهجات العربية الجنوبية في أمور عديدة غير معروفة في عربية القرآن الكريم ، كما توجد أوجه شبه بين ألفاظ حبشية وعبرانية[4] .

وللدلالة على الجمع استعملت العبرانية حرفا (يم) للمذكر ، و (واو وتاء) للمؤنث . أما الآرامية ، فاستعملت حرفا (ين) علامة للجمع ، وأما العربية فاستعملت (الواو والنون) للجمع المذكر السالم ، و (الألف والتاء) في الجمع المؤنث السالم ، وهناك جموع تكسير كثيرة كثرة لا نكاد نرى لها مثيلاً في اللغات السامية الأخرى[5] . وذلك بسبب أن هذه الجموع هي في الواقع جموع وردت في لهجات عربية متعددة ، وردت سماعاً ، فلما جمعها علماء العربية ودونوها

---

١ المصدر السابق (ص ١٦) .
٢ ولفنسون ، السامية (١٧) .
٣ ولفنسون ، السامية (١٦) .
٤ ولفنسون ، السامية (١٩) .
٥ ولفنسون ، السامية (١٩) .

في كتب اللغة والمعاجم ، لم يشيروا الى أسماء من كان ينطق بها، فظن انها جموع استعملت في هذه العربية التي نزل بها الوحي .

ومن أهم الإختلافات التي نراها بين اللغات السامية . اختلافها في التعريف . فبينما نرى بعض اللغات كالآشورية والبابلية والحبشية لا أداة للتعريف فيها ، نرى العبرانية وبعض اللهجات العربية مثل الثمودية واللحيانية تستعمل حرف الـ (ه) أداة له ، تضعه في أول الكلمة ، وبينما نرى السبئية واللهجات العربية الجنوبية الأخرى تستعمل أداة أخرى للتعريف هي حرف (النون) ، تضعها في آخر الكلمة المراد تعريفها ، نجد العربية الفصحى تستعمل (ال) أداة للتعريف ، تضعها في أول الكلمة . وتشارك السريانية العربيات الجنوبية في مكان أداة التعريف ، فمكانها عندها في نهاية الكلمة أيضاً ، غير أنها تختلف عنها في استعمالها أداة أخرى هي حرف الـ (ه) أي الواو .

وقد درس بعض المستشرقين أوزان الأسماء في اللغات السامية ، كما درسوا اشتقاقها وأصولها التي أخذت منها ، وبحثوا في حالات التصغير أي في الأسماء المصغرة وطرق التصغير عند جميع الساميين ، والأسماء البسيطة والأسماء المركبة ، ليستخرجوا منها قواعد قدماء الساميين في كيفية تكوين الأسماء ، ولا سيما تلك الأسماء التي ترد في جميع اللغات السامية . ففي اللغات السامية أسماء مشتركة ترد في كل اللغات ، منها ما هو بسيط مؤلف من كلمة واحدة ، ومنها ما هو مركب ، أي أسماء مؤلفة من أكثر من كلمة بطريقة الإضافة . ودراسة هذه الأسماء بأنواعها ، تفيدنا كثيراً في الوقوف على العقلية السامية وعلى الخواص المشتركة التي كانت تربط بين الساميين .

ونجد الإعراب في اللغة العربية الفصحى ، ويذهب العلماء الى أن الإعراب كان موجوداً في جميع اللغات السامية ، ثم خف حتى زال من أكثر تلك اللغات . ونرى له أثراً يدل عليه في العبرانية في حالتي المفعول به وفي ضمير التبعية ، وفي السريانية والبابلية في ضمير التبعية ، فإن هاتين الحالتين تدلان على وجود الإعراب في أصولها القديمة [1] .

---

١ ولفنسون ، السامية (ص ١٥) .

ونجد العربية ذات حروف يزيد عددها على حروف اللغات السامية الأخرى . ولعلّ اللغات الأخرى كانت تملك حروفاً أخرى ، ثم قلّ استعمالها فزالت من أبجديتها ، ولم تبق لها حاجة بها . فالعبرانية لا تمتلك الحروف : (ذ)، و(ع)، و (ظ) ، و (ض) . والبابلية لا تمتلك أيضاً الحروف : العين والحاء والغين والهاء وهي من أحرف الحلق ، ولا الأحرف : الطاء والظاء والصاد ، وهي من أحرف التضخيم والتفخيم ، ولا القاف . ونجد يهود السامرة لا يستعملون حرف السين[1] . وهناك أمثلة أخرى تثبت حدوث تطور في عدد الحروف في اللغات السامية ، مما سبب حدوث اختلاف في عددها،ولهذا حدث هذا الاختلاف الذي نراه ونلاحظه بين أبجديات تلك اللغات .

ونجد العربية الجنوبية تمتلك حروفاً لا تمتلكها العربية الفصحى ، وذلك بسبب اختلاف طبيعتي اللهجتين .

ولا بد أن تكون هنالك عوامل عديدة دعت الى حدوث تغير في عدد الحروف في لغات الساميين . وقد عزا بعض الباحثين سقوط الأحرف التي ذكرتها من الكتابة البابلية الى استعمال البابليين للكتابة المسمارية[2] . غير أن هذا رأي يجب أن يدرس بعناية ، وأن يكون مبنياً على دراسات عديدة أصيلة ، ليكون في الامكان تكوين رأي صحيح في هذا الموضوع .

واللغة العربية اليوم ، هي من أعظم اللغات السامية الباقية ، بكثرة من يتكلم ويكتب بها ، وبكثرة ما ألّف ودوّن بها . وهي تستعمل اليوم قلماً اشتق من قلم سامي شمالي ، وكان لها في الماضي قلم قديم كان مستعملاً عند العرب من أيام ما قبل الميلاد الى ظهور الاسلام ، مات بسبب اتخاذ الاسلام القلم الجزم قلماً للوحي ، دوّن به القرآن الكريم ، فصار بذلك القلم الشرعي الرسمي ، وأمات بذلك الأقلام الجاهلية الأخرى المشتقة من القلم (المسند) . ونجد في المعاجم اللغوية مئات الألوف من الألفاظ المعبرة عن معان ، وقد قدّر بعض العلماء عدد ألفاظ العربية بنحو من (١٢٣٠٥٠٥٢) كلمة[3] . ويعود سبب غناها في الألفاظ الى

---

١ ولفنسون ، السامية (١٩ وما بعدها ، ٣٩) .

٢ ولفنسون ، السامية (٣٩) .

٣ The Bible Dictionary, Vol. I, p. 101.

كثرة وجود المترادفات فيها ، التي هي من بقايا لغـــات قبائل ، والى خاصية جذور الكلم فيها في توليد الألفاظ الجديدة بتحريك هذه الجذور .

وهناك لهجات تستحق الدراسة ، فهي من اللهجات السامية المتفرعة عن لهجات قديمة ، وهي لهجات منبوذة لم يحفل بها علماء اللغة ، مثل اللهجـة (الأمهرية) واللهجة (الهررية) لغة أهل (هرر) . وهي من بقايا لهجات لم يعتن بها العلماء إلا منذ احتكاك الغربيين بالمتكلمين بها . ومع ذلك فلا تزال البحوث العلمية عنها قليلة .